

## (رَبِّ أَنْعَمْتَ فَرْدًا)

### [ تقديم للكتاب ]

تَوْلَاكَ اللَّهُ بِحَفِظِهِ، وَأَعَانَكَ عَلَى شُكْرِهِ، وَوَفَّقَكَ لِطَاعَتِهِ، وَجَعَلَكَ مِنَ الْفَائِزِينَ بِرَحْمَتِهِ .  
ذَكَرْتُ - حَفِظَكَ اللَّهُ - أَنْكَ قَرَأْتَ كِتَابِي فِي تَصْنِيفِ جَيْلِ لُصُوصِ النَّهَارِ، وَفِي تَفْصِيلِ جَيْلِ  
سُرَاقِ اللَّيْلِ، وَأَنَّكَ سَدَدْتَ بِهِ كُلَّ خَلَلٍ، وَحَصَّنْتَ بِهِ كُلَّ عَوْرَةٍ، وَتَقَدَّمْتَ بِمَا أَفَادَكَ مِنْ  
لَطَائِفِ<sup>(١)</sup> الْخُدَعِ، وَتَبَهَّكَ عَلَيْهِ مِنْ غَرَائِبِ الْجَيْلِ، فِيمَا عَسَى أَلَّا يَتَلَعَّهُ كَيْدٌ، وَلَا يَحْوِرَهُ مَكْرٌ  
وَذَكَرْتُ أَنَّ مَوْقِعَ نَفْعِهِ عَظِيمٌ، وَأَنَّ التَّقَدُّمَ فِي دَرَجَتِهِ وَاجِبٌ . وَقُلْتُ : اذْكُرْ لِي نَوَادِرَ الْبُخْلَاءِ،  
وَاجْتِنَاجِ الْأَشْحَاءِ، وَمَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ فِي بَابِ الْهَزْلِ، وَمَا يَجُوزُ مِنْهُ فِي بَابِ الْجِدِّ ؛ لِأَجْعَلَ  
الْهَزْلَ مُسْتَرَحًا، وَالرَّوَاخَةَ جَمَامًا<sup>(٢)</sup> ؛ فَإِنَّ لِلْجِدِّ كَدًّا يَمْنَعُ مِنْ مُعَاوَدَتِهِ، وَلَا بُدَّ لِمَنْ التَّمَسَّ نَفْعَهُ مِنْ  
مُرَاجَعَتِهِ .

وَذَكَرْتُ مَلْحَ<sup>(٣)</sup> الْجِزَامِيِّ، وَاجْتِنَاجَ الْكِنْدِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَرِسَالَةَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ، وَكَلَامَ ابْنِ غَزْوَانَ،  
وَخُطْبَةَ الْحَارِثِيِّ، وَكُلَّ مَا حَضَرَنِي مِنْ أَعَاجِبِهِمْ وَأَعَاجِبِ غَيْرِهِمْ، وَلِمَ سَمَّوُا الْبُخْلَ صِلَاحًا، وَالشُّعْخَ  
اِقْتِصَادًا، وَلِمَ حَامَوْا عَلَى الْمَنَعِ، وَنَسَبُوهُ إِلَى الْحَزْمِ، وَلِمَ نَصَبُوا لِلْمُوَاسَاةِ، وَقَرَنُوهَا بِالتَّضْيِيعِ، وَلِمَ  
جَعَلُوا الْجُودَ سَرَفًا، وَالْأَثْرَةَ جَهْلًا، وَلِمَ زَهَدُوا فِي الْحَمْدِ، وَقَلَّ اخْتِفَالُهُمْ بِالذَّمِّ، وَلِمَ اسْتَضَمُّوْا مَنْ  
هَسَّ لِلذُّكْرِ، وَازْتَاخَ لِلتَّنْذِلِ، وَلِمَ حَكَمُوا بِالْقُوَّةِ لِمَنْ لَا يَمِيلُ إِلَى نِتَائِهِ، وَلَا يَنْخَرِفُ عَنْ هِجَاؤِهِ؛ وَلِمَ  
احْتَجُّوا بِظُلْفِ الْعَيْشِ<sup>(٥)</sup> عَلَى لَيْنِهِ، وَيُحْلُوهُ عَلَى مُرِّهِ؛ وَلِمَ لَمْ يَسْتَحُوا مِنْ رَفِضِ الطُّيْبَاتِ فِي رِحَالِهِمْ،  
مَعَ اسْتِهْتَارِهِمْ بِهَا فِي رِحَالِ غَيْرِهِمْ، وَلِمَ تَنَاقَبُوا فِي الْبُخْلِ؛ وَلِمَ اخْتَارُوا مَا يُوجِبُ ذَلِكَ الْاسْمَ، مَعَ  
أَنْفَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْاسْمِ؛ وَلِمَ رَغِبُوا فِي الْكَسْبِ، مَعَ زُهْدِهِمْ فِي الْإِنْفَاقِ؛ وَلِمَ وَقَرُوا نَصِيبَ الْخَوْفِ،  
وَبَحَسُوا نَصِيبَ الرَّجَاءِ، مَعَ طَوْلِ السَّلَامَةِ وَسُمُولِ الْعَافِيَةِ، وَالْمَتَاعَفَى أَكْثَرَ مِنَ الْمُتَبَلَّى، وَلَيْسَتْ  
الْحَوَائِجُ أَقْلَ مِنَ الْفَوَائِدِ .

فَكَيْفَ يَدْعُوا إِلَى السَّعَادَةِ مَنْ حَصَّ نَفْسَهُ بِالشَّقْوَةِ، بَلْ كَيْفَ يَنْتَجِلُ<sup>(٦)</sup> نَصِيحَةَ الْعَامَّةِ مَنْ بَدَأَ

(١) لطائف : جمع لطيفة ، أى الخفية ، والخُدع : جمع خدعة ، والمراد به المكره من حيث لا يعلم .

(٢) الجمام : الراحة . (٣) المَلْحُ : جمع مَلْحَة ، وهى الكلمة المليحة .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق الكندى ، أبو يوسف الفيلسوف ، ولد بالبصرة وترجم كتب اليونان ، فألف فى الرياضيات والفلك ، توفى  
٨٦٠ م .

(٥) بظلف العيش : أى شدة المعيشة وخسوتها . (٦) ينتجل : انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره .

يَبْشُرُ الْخَاصَّةَ ؟ وَلِمَ احْتَجُّوا مَعَ شِدَّةِ عُقُولِهِمْ بِمَا أَجْمَعَتْ الْأُمَّةُ عَلَى تَقْيِيحِهِ ، وَلِمَ فَخَرُوا مَعَ اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَا أَطْبَقُوا عَلَى تَهْجِيحِهِ (١) ؟ وَكَيْفَ يَفْطَنُ عِنْدَ الْاِعْتِلَالِ لَهُ ، وَيَتَعَلَّلُ عِنْدَ الْاِحْتِجَاجِ عَنْهُ إِلَى الْغَايَاتِ الْبَعِيدَةِ ، وَالْمَعَانِي اللَّطِيفَةِ ، وَلَا يَفْطَنُ لِظَاهِرِ قُبْحِهِ ، وَسَنَاعَةِ اسْمِهِ ، وَخُثْمُولِ ذِكْرِهِ ، وَسُوءِ آثَرِهِ عَلَى أَهْلِهِ ؟

وَكَيْفَ وَهُوَ الَّذِي يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْكُذِّ وَقَلَّةِ الْمَرْفِقِ (٢) ، وَبَيْنَ الشَّهْرِ وَخُشُونَةِ الْمَضْجَعِ ، وَبَيْنَ طُولِ الْاِعْتِرَابِ وَطُولِ قَلَّةِ الْاِنْتِفَاعِ ، وَمَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ وَاِرْتَهُ أَعْدَى لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَأَنَّهُ أَحَقُّ بِمَالِهِ مِنْ وَلِيِّهِ ؟ أَوْ لَيْسَ لَوْ أَظْهَرَ الْجَهْلَ وَالْغَبَاوَةَ ، وَاتَّحَلَ الْعُقْلَةَ وَالْحِمَاقَةَ ، ثُمَّ احْتَجَّ بِتِلْكَ الْمَعَانِي الشَّدَادِ ، وَبِالْأَلْفَافِ الْجِسَانِ ، وَجُودَةِ الْاِخْتِصَارِ ، وَبِتَقْرِيْبِ الْمَعْنَى ، وَبِسَهُولَةِ الْمَخْرَجِ ، وَإِصَابَةِ الْمَوْضِعِ ، لَكَانَ مَا ظَهَرَ مِنْ مَعَانِيهِ وَبَيَانِهِ ، مَكْذُوبًا لِمَا ظَهَرَ مِنْ جَهْلِهِ وَتُقْصَانِهِ ؟ وَلِمَ جَازَ أَنْ يُهَيِّصَ بِعَقْلِهِ الْبَعِيدِ الْغَايِضَ ، وَيَغْتِيَا (٣) عَنِ الْقَرِيبِ الْجَلِيلِ ؟

وَقُلْتُ : فَبَيِّنْ لِي مَا الشَّيْءُ الَّذِي خَبَّلَ عُقُولَهُمْ ، وَأَفْسَدَ أَذْهَانَهُمْ ، وَأَغَشَى تِلْكَ الْأَبْصَارَ ، وَنَقَضَ ذَلِكَ الْاِعْتِدَالَ ؟ وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي لَهُ عَانَدُوا الْحَقَّ ، وَخَالَفُوا الْأَمَمَ ؟ وَمَا هَذَا التَّرْكِيبُ الْمُتَضَادُّ : وَالْمِزَاجُ الْمُتَنَافِي ؟ وَمَا هَذَا الْغَبَاءُ الشَّدِيدُ الَّذِي إِلَى جَنْبِهِ فِطْنَةٌ عَجِيبَةٌ ؟ وَمَا هَذَا السَّبَبُ الَّذِي خَفِيَ بِهِ الْجَلِيلُ الْوَاضِحَ ، وَأُذِرَكَ بِهِ الدَّقِيقُ الْغَايِضُ ؟

### (البخيل ضعيف)

وَقُلْتُ : وَلَيْسَ عَجِيبِي مِمَّنْ خَلَعَ عِذَارَهُ (٤) فِي الْبُخْلِ ، وَأَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلذَّمِّ (٥) ، وَلَمْ يُوَضِّعْ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا بِمُقَارَعَةِ الْخَضِيمِ ، وَلَا مِنَ الْاِحْتِجَاجِ إِلَّا بِمَا رُسِمَ فِي الْكُتُبِ (٦) ؛ وَلَا عَجِيبِي مِنْ مَغْلُوبٍ عَلَى عَقْلِهِ ، مُسَخَّرٍ لِظَاهِرِ عَيْبِهِ ، كَعَجِيبِي مِمَّنْ قَدْ فِطِنَ لِبُخْلِهِ ، وَعَرَفَ إِفْرَاطَ شَحْوِهِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ ، وَيُعَالِبُ طَبْعَهُ . وَلَوْ بَمَا ظَنَّ أَنَّ قَدْ فِطِنَ لَهُ ، وَعَرِفَ مَا عِنْدَهُ ، فَمَوْهَ شَيْئًا لَا يَقْبَلُ التَّمْوِيَةَ ، وَرَقَعَ خَرَقًا لَا يَقْبَلُ الرُّقْعَ .

فَلَوْ أَنَّهُ كَمَا فِطِنَ لِعَيْبِهِ ، وَفِطِنَ لِمَنْ فِطِنَ لِعَيْبِهِ ، فَطِنَ لضعفِهِ عَنْ عِلاجِ نَفْسِهِ ، وَعَنْ تَقْوِيمِ أَخْلَاطِهِ (٧) ؛ وَعَنْ اسْتِرْجَاعِ مَا سَلَفَ مِنْ عَادَاتِهِ ، وَعَنْ قَلْبِهِ أَخْلَاقَهُ الْمُدْخُولَةَ إِلَى أَنْ تَعُودَ سَلِيمَةً ، لَتَرَكَ تَكَلُّفَ مَا لَا يَسْتَطِيعُهُ ، وَلَرَبِحَ الْاِئْتِفَاقَ عَلَى مَنْ يَذُمَّهُ ، وَلَمَّا وَضَعَ عَلَى نَفْسِهِ الرُّقْبَاءَ ، وَلَا أَحْضَرَ

(١) تَهْجِيحِهِ : تَقْيِيحِهِ . هَجَّنَ الشَّيْءَ : قَبِحَهُ وَعَابَهُ .

(٢) الْمَرْفِقُ : مَا انْتَفَعَتْ بِهِ ، يُقَالُ : ارْتَفَقَ بِهِ : انْتَفَعَ وَاسْتَعَانَ . (٣) يَغْتِيَا : يَعْجِزُ ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ الْعَمِيزَةَ وَعَدَمَ الْاِهْتِدَاءِ لَوَجْهِ الْمَرَادِ .

(٤) عِذَارُهُ : يُقَالُ لِلْمَنْهَمِكِ فِي الْعَيْنِ : خَلَعَ عِذَارَهُ ، عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْفَرَسِ الَّذِي لَا لِحَامَ لَهُ .

(٥) الْمَرَادُ بِالصَّفْحَةِ : الْوَجْهَ ، وَإِبْدَاؤُهَا لِلذَّمِّ : التَّمَرُّضُ لَهُ مِنْ غَيْرِ مِبَالَاةٍ .

(٦) رَسَمَ فِي الْكُتُبِ : أَيِ كَتَبَ فِيهَا ، أَيْ لَا يَرْضِيهِ فِي احْتِجَاجِهِ لِلْبُخْلِ إِلَّا مَا هُوَ مَدُونٌ فِي الْكُتُبِ مِنَ الْاِئْتِمَارِ لَهُ .

(٧) تَقْوِيمُ الْأَخْلَاطِ : أَيِ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْهَا حَتَّى يَعْتَدِلَ الْمِزَاجَ ، وَهَذِهِ الْأَخْلَاطُ هِيَ الدَّمُ وَالْبَلْغَمُ وَالصَّفْرَاءُ وَالسُّودَاءُ حَسَبًا كَانِ الْعَرَبُ يَعْتَقِدُونَ .

مأيدته الشعراء، ولا خالط بُرْدَ الآفاقِ<sup>(١)</sup>، ولا لأبسن الموكِّلين بالأخبار، ولا شتراح من كد الكلفة، ودخل في غمار الأمة.

وَبَعْدَ فَمَا بَالُهُ يَفْطِنُ لِعُيُوبِ النَّاسِ إِذَا أَطْعَمُوهُ، وَلَا يَفْطِنُ لَعَيْبِ نَفْسِهِ إِذَا أَطْعَمَهُمْ، وَإِنْ كَانَ عَيْبُهُ مَكْشُوفًا، وَعَيْبٌ مِنْ أَطْعَمَهُ مَشْتُورًا؟

وَلَمْ سَخَتْ نَفْسُ أَحَدِهِمْ بِالكَثِيرِ مِنَ النَّبْرِ<sup>(٢)</sup>، وَسَخَتْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الصُّغْمِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي مَنَعَ يَسِيرٌ فِي جَنْبِ مَا بَدَلْ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يُحْصَلَ بِالْقَلِيلِ مِمَّا جَادَ بِهِ أَضْعَافٌ مَا يَخِلُ بِهِ، كَانَ ذَلِكَ عَتِيدًا، وَيَسِيرًا مُوجُودًا؟

### (تساؤلات والرد عليها)

وَقُلْتُ: وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُعَرِّفَنِي الْهَيَاتِ الَّتِي نَمَّتْ عَلَى الْمُتَكَلِّفِينَ، وَدَلَّتْ عَلَى حَقَائِقِ الْمُتَمَوِّهِينَ، وَهَتَكَتْ عَنِ أَشْتَارِ الْأَدْعِيَاءِ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالرِّيَاءِ، وَفَصَلَّتْ بَيْنَ الْبَهْرَجِ<sup>(٣)</sup> الْمُتَزَخَّرِفِ، وَالْمَطْبُوعِ الْمُبْتَهَلِ<sup>(٤)</sup>؛ لَتَقَفَ - زَعَمْتُ - عِنْدَهَا، وَلِتَعْرِضَ نَفْسَكَ عَلَيْهَا، وَلِتَوْهَمَ مَوَاقِعَهَا وَعَوَاقِبَهَا. فَإِنَّ نَبْهَكَ التَّصَفُّحُ لَهَا عَلَى عَيْبٍ قَدْ أَغْفَلْتَهُ، عَرَفْتَ مَكَانَهُ فَاجْتَنِبْتَهُ. فَإِنْ كَانَ عَتِيدًا ظَاهِرًا مَعْرُوفًا عِنْدَكَ نَظَرْتَ: فَإِنْ كَانَ احْتِمَالُكَ فَاضِلًا عَلَى بُخْلِكَ، دُمْتَ عَلَى إِطْعَامِهِمْ، وَعَلَى اكْتِسَابِ الْمَحَبَّةِ بِمَوَاكِلَتِهِمْ، وَإِنْ كَانَ اكْتِرَائُكَ غَايِرَ الاجْتِهَادِ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، وَانْقَرَذْتَ بِطَيْبِ زَادِكَ، وَدَخَلْتَ مَعَ الْعِمَارِ، وَعِشْتَ عَيْشَ الْمُسْتَوْرِينَ. وَإِنْ كَانَتْ الْحُرُوبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ طِبَاعِكَ سِبْجَالًا<sup>(٥)</sup>، وَكَانَتْ أَشْيَابُكُمْ أَمْثَالًا وَأَشْكَالًا، أَجَبْتَ الْحَزْمَ إِلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ، وَأَجَبْتَ الْاِحْتِيَاطَ إِلَى رَفْضِ التَّكْيِيفِ، وَرَأَيْتَ أَنَّ مَنْ حَصَلَ السَّلَامَةُ مِنَ الدَّمِّ فَقَدْ غَنِمَ، وَأَنَّ مَنْ آتَرَ التُّقَةَ عَلَى التَّعْرِيرِ فَقَدْ حَزُمَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ أَحْوَجُ، وَأَنَّ ذَا الْمُرُوعَةِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ أَفْقَرُ، وَأَنِّي إِنْ حَصَنْتُ مِنَ الدَّمِّ عَرَضَكَ، بَعْدَ أَنْ حَصَنْتُ مِنَ اللَّصُوصِ مَالِكَ، فَقَدْ بَلَعْتُ لَكَ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَبٌ بَارًّا، وَلَا أُمَّ رَعُومًا<sup>(٦)</sup>.

وَسَأَلْتُ أَنْ أَكْتُبَ لَكَ عِلَّةَ أَنَّ الرَّجُلَ أَحَقُّ بِبَيْتِهِ مِنَ الْعَرِيبِ، وَأَوْلَى بِأَخِيهِ مِنَ الْبَعِيدِ، وَأَنَّ الْبَعِيدَ أَحَقُّ بِالْغَيْرَةِ، وَالْقَرِيبَ أَوْلَى بِالْأَنْفَةِ<sup>(٧)</sup>، وَأَنَّ الْاِسْتِرَادَةَ فِي التَّشْلِيلِ كَالْاِسْتِرَادَةِ فِي الْحَرْبِ، إِلَّا أَنَّ

(١) بُرْدَ الْآفَاقِ: الْبُرْدُ: جَمْعُ بُرِيدٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الرِّسَالَةُ، أَيْ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِطْ بِهِمْ لِيَقْبَلُوا أَخْبَارَ كَرَمِهِ.

(٢) النَّبْرُ: فَنَاتِ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ قَبْلَ أَنْ يَصَاحَ.

(٣) الْبَهْرَجُ: الرَّدِيءُ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَهْرَجَ الْكَلَامُ وَغَيْرُهُ: زَيَّفَهُ وَرَدَّهُ لَزِيْفَهُ.

(٤) الْمُبْتَهَلُ: الْمُرْسَلُ عَنِ الْقَبْدِ، يُقَالُ: أَهْبَلَ الرَّاعِيَ لِرَعِيَّتِهِ: تَرَكَهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَشَاءُونَ، لَا يَأْخُذُ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

(٥) الْحَرْبُ سِبْجَالٌ: أَيْ مَرَّةً عَلَى هُزْلَاءٍ، وَأُخْرَى عَلَى هُزْلَاءٍ. (٦) زَعُومٌ: تَعَطَّفَ عَلَى وَلَدِهَا وَتَحَبَّ.

(٧) الْأَنْفَةُ: الْعِزَّةُ وَالْحَمِيَّةُ.

العادة هي التي أوحشت منه، والديانة هي التي حرمته، ولأن الناس يتزيدون أيضاً في اشتعابهم، ويتجلبون أكثر مما عندهم في استئناسه.

وعلة الجهجاه<sup>(١)</sup> في تحسين الكذب بمرتبة الصديق في مواضع، وفي تقييح الصديق في مواضع، وفي إلحاح الكذب بمرتبة الصديق، وفي خط الصديق إلى موضع الكذب؛ وأن الناس يظلمون الكذب بتناسي مناقبه<sup>(٢)</sup>، وتذكر مثاليه<sup>(٣)</sup>، ويحاثون الصديق بتذكر منافعه، وبتناسي مضاره، وأنهم لو وازنوا بين مزافقيهما، وعدلوا بين خصاليهما، لما فرقوا بينهما هذا التفريق، ولما رأوهما بهذه العيون.

ومذهب صحصح في تفضيل النسيان على كثير من الذكر، وأن العباء في الجملة أنفع من الفطنة في الجملة، وأن عيش البهائم أحسن موقعا من النفوس من عيش العقلاء، وأنتك لو أسمنت بهيمة ورجلاً ذا مروءة، أو امرأة ذات عقل وهمية، وأخرى ذات غباء وعفلة، لكان الشحم إلى البهيمية أسرع، وعن ذات العقل والهيمية أبطأ. ولأن العقل مقرون بالحذر والاهتمام، ولأن العباء مقرون بفراغ البال والأمن، فلذلك البهيمية تفتن شحماً<sup>(٤)</sup> في الأيام اليسيرة، ولا تجد ذلك لدى الهيمية البعيدة. ومتوقع البلاء في البلاء وإن سلم منه. والعاقل في الرجاء إلى أن يدركه البلاء.

ولولا أنك تجد هذه الأبواب وأكثر منها مصورة في كتابي الذي سمي (كتاب المسائل)، لأتيت على كثير منه في هذا الكتاب.

فأما ما سألت من احتجاج الأشعاع، ونوادر أحاديث البخلاء، فسأوجدك ذلك في قصصهم - إن شاء الله تعالى - مفرقاً، وفي احتجاجاتهم مجتملاً، (فهو أجمع لهذا الباب) من وصف ما عندي، دون ما انتهى إلى من أخبارهم على وجهها؛ وعلى أن الكتاب أيضاً يصير أقصر، ويصير العار<sup>(٥)</sup> فيه أقل.

### (في هذا الكتاب)

وتبتدئ برسالة سهل بن هارون<sup>(٦)</sup>، ثم يطرف أهل خراسان، لإكتثار الناس في أهل خراسان. ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعرف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة. وأنت في ضحكك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد.

(١) الجهجاه: رجل له رأى في تحسين الكذب في مواطن خاصة وكذلك في تقييح الصدق.

(٢) المناقب: جمع منقبة، وهي الخصلة الحميدة.

(٣) المثالب: جمع مثلبة، وهي العيب.

(٤) تفتن شحماً: تجمع، والشحم: الدهن.

(٥) العار الذي يلحق البخلاء أقل بسبب الأخبار المصنوعة الكثيرة المبالغة.

(٦) سهل بن هارون بن راهبون: كاتب بليغ، ومن واضع القصص، فارسي الأصل خدم هارون الرشيد وابنه المأمون. الأعلام (٣/ ١٤٣).

وَأَنَا أَرْعَمُ أَنَّ الْبُكَاءَ صَالِحٌ لِلطَّبَائِعِ ، وَمَحْمُودُ الْمَعَبَةِ ، إِذَا وَاقَعَ الْمُؤَضِّعَ ، وَلَمْ يُجَاوِزِ الْمَقْدَارَ ،  
وَلَمْ يَغْدُلْ عَنِ الْجِهَةِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى الرَّقَّةِ ، وَالبُعْدِ مِنَ الْقَسْوَةِ ، وَرُبَّمَا عُدَّ مِنَ الْوَفَاءِ ، وَشِدَّةِ الْوَجْدِ  
عَلَى الْأَوْلِيَاءِ . وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْعَابِدُونَ ، وَاسْتَرْحَمَ بِهِ الْخَائِفُونَ .  
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِرَجُلٍ اشْتَدَّ جَزَعُهُ مِنْ بُكَاءِ صَبِيٍّ لَهُ : لَا تَجَزَّعْ ، فَإِنَّهُ أَفْتَحَ لِحُزْمِهِ (١) ،  
وَأَصْحَحَ لِبَصْرِهِ .

وَصَرَبَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ (٢) يَدَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : جَائِدَةٌ شَاخِصَةٌ لَا تَنْدَى ! وَقِيلَ لِصَفْوَانَ  
ابنِ مُخْرِزٍ ، عِنْدَ طُولِ بَكَائِهِ وَتَذَكُّرِ أَحْزَانِهِ : إِنَّ طَوْلَ الْبُكَاءِ يورِثُ الْعَمَى . فَقَالَ : ذَلِكَ لَهَا شَهَادَةٌ .  
فَبَكَى حَتَّى عَمِيَ .

وَقَدْ مُدِحَ بِالْبُكَاءِ نَاسٌ كَثِيرٌ : مِنْهُمْ يَحْتَسِبُ الْبُكَاءَ ، وَهَيْبَتَهُ الْبُكَاءَ . وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ مُخْرِزٍ يَسْمَى  
الْبُكَاءَ .

وَإِذَا كَانَ الْبُكَاءُ (الَّذِي) مَا دَامَ صَاحِبُهُ فِيهِ فَإِنَّهُ فِي بَلَاءٍ - وَرُبَّمَا أَعْمَى الْبَصَرَ ، وَأَفْسَدَ الدَّمَاعَ ،  
وَدَلَّ عَلَى الشُّخْفِ ، وَقَضَى عَلَى صَاحِبِهِ بِالْهَلَعِ ، وَشُبِّهَ بِالْأَمَةِ لِلْكُفَاءِ (٣) ، وَبِالْحَدِيثِ الصَّرِيعِ -  
كَذَلِكَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالضُّحِكِ الَّذِي لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ الشُّرُورِ ، إِلَيَّ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْهُ سَبَبُهُ ؟

وَلَوْ كَانَ الضُّحِكُ قَبِيحًا مِنَ الضَّالِحِ ، وَقَبِيحًا مِنَ الْمُضْحِكِ ، لَمَا قِيلَ لِلزُّهْرَةِ وَالْجَبْرِ (٤)  
وَالْحَلِيِّ وَالْقَضِرِ الْمَبْنِيِّ : كَأَنَّهُ يَضْحَكُ ضِحْكًا . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى .  
وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٥) فَوَضَعَ الضُّحِكُ بِحَدَائِ الْحَيَاةِ ، وَوَضَعَ الْبُكَاءَ بِحَدَائِ الْمَوْتِ . وَإِنَّهُ لَا  
يُضَيِّفُ اللَّهُ إِلَيَّ نَفْسِهِ الْقَبِيحَ ، وَلَا يُرْسُ عَلَى خَلْقِهِ بِالنَّقْصِ .

وَكَيفَ لَا يَكُونُ مَوْقِعُهُ مِنْ شُرُورِ النَّفْسِ عَظَمًا ، وَمِنْ مَضَلِحَةِ الطَّبَاعِ كَبِيرًا ، وَهُوَ شَيْءٌ فِي أَصْلِ  
الطَّبَاعِ ، وَفِي آسَاسِ التَّرْكِيبِ . لِأَنَّ الضُّحِكَ أَوَّلُ خَيْرٍ يَظْهَرُ مِنَ الصَّبِيِّ . وَقَدْ تَطَلَّبَ نَفْسَهُ ، وَعَلَيْهِ  
يَنْبَغُ شَحْمُهُ ، وَيَكْثُرُ ذَمُّهُ الَّذِي هُوَ عِلَّةُ شُرُورِهِ ، وَمَادَّةُ قُوَّتِهِ . وَلِفَضْلِ حِصَالِ الضُّحِكِ عِنْدَ الْعَرَبِ  
تُسَمَّى أَوْلَادُهَا بِالضُّحَّاكِ وَبِطَلْقِ وَبَطْلَيْقِ . وَقَدْ ضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَزَّحَ .  
وَضَحِكَ الصَّالِحُونَ وَمَزَّحُوا . وَإِذَا مَدَّحُوا قَالُوا : هُوَ ضَحُوكُ السَّنَنِ ، وَبَسَامُ الْعَشِيَّاتِ (٦) ، وَهَشَّ إِلَى  
الصَّيْفِ ، وَدُوَّ أَرْبَجِيَّةً وَاهْتِزَّازًا .

وَإِذَا ذَمُّوا قَالُوا : هُوَ غَبُوسٌ ، وَهُوَ كَالْبَيْحِ (٧) ، وَهُوَ قَطُوبٌ (٨) ، وَهُوَ شَتِيمٌ الْمُحَيَّا ، وَهُوَ مُكْفَهَرٌ (٩)

(١) لِحُزْمِهِ . لِحُجْمِهِ .

(٢) عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ عَبْدِ قَيْسِ الْعَنْبَرِيِّ : تَابِعِي ، مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ . قَالَ أَبُو نَعِيمٍ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ بِالنَّسِكِ مِنْ عِبَادِ  
التَّابِعِينَ بِالْبَهْرَةِ . مَاتَ فِي خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . (الْأَعْلَامُ ٣/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(٣) لِلْكُفَاءِ : اللَّيْثِيَّةُ الْحَمَّاءُ . يُقَالُ فِي سَبِّ الْعَرَاءِ : يَالْكُفَاءَ . (٤) الْجَبْرِ : ثَوْبٌ أَوْ كِتَابٌ مَخْطُوطٌ كَانَ يَصْنَعُ بِالْيَمَنِ .

(٥) [النجم: ٤٣-٤٤] . (٦) بِسَامُ الْعَشِيَّاتِ : أَيِ يَرْحَبُ بِصُيُوفِهِ إِذَا جَاءُوا يَتَعَشُونَ عِنْدَهُ .

(٧) كَالْبَيْحِ : عَابِسٌ ، وَفِي التَّنْزِيلِ لِلْمُرِيزِ : ﴿وَمَنْ يَمَّا كَلِيهِمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] .

(٨) قَطُوبٌ : الْفَاقِسُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنْ جِلْدِ عَابَسِهِ . (٩) مُكْفَهَرٌ : مَتَمِّسٌ .

أبدًا، وهو كَرِيهٌ، ومَقْبُضُ الوُجْهِ، وحَامِضُ الوَجْهِ؛ وكَانَمَا وَجْهُهُ بِالْحَلِّ مُنْصَوِّحٌ!  
 وللمزح موضعٌ، وله مقدارٌ، متى جازَهُمَا أَحَدٌ، وَقَصَرَ عَنْهُمَا أَحَدٌ، صَارَ الْفَاضِلُ خَطَلًا،  
 وَالتَّقْصِيرُ نَقْصًا. فَالنَّاسُ لَمْ يَعْبِيُوا الضَّحْكَ إِلَّا بِقَدْرِ، وَلَمْ يَعْبِيُوا الْمَزْحَ إِلَّا بِقَدْرِ.  
 وَمتى أُرِيدَ بِالْمَزْحِ النِّفْعُ، وَبِالضَّحْكِ الشَّيْءُ الَّذِي لَهُ جُعِلَ الضَّحْكَ، صَارَ الْمَزْحُ جِدًّا،  
 وَالضَّحْكَ وَقَارًا.

### (بيان لقصور)

وَهَذَا كِتَابٌ لَا أُعْرُكَ مِنْهُ<sup>(١)</sup>، وَلَا أُسْتَرُّ عَنْكَ عَيْنِي. لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكْمَلَ لِمَا تَرِيدُهُ، وَلَا يَجُوزُ  
 أَنْ يُؤْفَى حَقُّهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ: لِأَنَّ هَا هُنَا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً مَتَى أَطْلَعْنَا مِنْهَا حَرْفًا<sup>(٢)</sup> عُرِفَ أَصْحَابُهَا،  
 وَإِنْ لَمْ نَسْمَعْهُمْ، وَلَمْ نَرِدْ ذَلِكَ بِهِمْ. وَسَوَاءٌ سَمِينَاهُمْ أَوْ ذَكَرْنَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ. مِنْهُمْ  
 الصَّدِيقُ وَالْوَلِيُّ وَالْمَشْتَوْرُ وَالْمَتَّجِلُّ. وَلَيْسَ يَفِي حُسْنِ الْفَائِدَةِ لَكُمْ بِبُحْجِ الْجِنَايَةِ عَلَيْهِمْ. فَهَذَا بَابٌ  
 يَسْقُطُ الْبَيِّنَةُ، وَيَحْتَلُّ بِهِ الْكِتَابُ لَا مَحَالَةَ. وَهُوَ أَكْثَرُهَا بَابًا، وَأَعْجَبُهَا مِنْكَ مَوْقِعًا - وَأَحَادِيثَ أُخْرَى  
 لَيْسَ لَهَا شُهْرَةٌ؛ وَلَوْ شَهْرَتْ لَمَا كَانَ فِيهَا دَلِيلٌ عَلَى أُرْبَابِهَا، وَلَا هِيَ مَفِيدَةٌ أَصْحَابِهَا. وَلَيْسَ يَتَوَفَّرُ  
 أَبَدًا حُسْنُهَا إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَهْلَهَا، وَحَتَّى تَتَّصِلَ بِمَسْتَحِقِّهَا، وَبِمَعَاذِنِهَا وَاللَّائِقِينَ بِهَا. وَفِي قَطْعِ مَا  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَنَاصِرِهَا وَمَعَانِيهَا سُقُوطُ نِصْفِ الْمُلْحَةِ، وَذَهَابُ شَطْرِ النَّادِرَةِ.

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَلْزَقَ نَادِرَةً بِأَبِي الْحَارِثِ جُمَيْنٍ، وَالْهَيْثَمِ بْنِ مُطَهَّرٍ، وَبِمُرْزُبَادٍ<sup>(٣)</sup>، وَابْنِ الْأَخْمَرِ، ثُمَّ  
 كَانَتْ بَارِدَةً، لَجَرَتْ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ. وَلَوْ وُلِدَتْ نَادِرَةٌ حَارَّةً فِي نَفْسِهَا، مَلِيحَةً فِي مَعْنَاهَا، ثُمَّ  
 أَضَافَهَا إِلَى صَالِحِ بْنِ حُثَيْنٍ، وَإِلَى ابْنِ النَّوَّاءِ، وَإِلَى بَعْضِ الْبُعْضَاءِ، لَعَادَتْ بَارِدَةً، وَلِصَارَتْ فَاتِرَةً،  
 فَإِنَّ الْفَاتِرَ شَرٌّ مِنَ الْبَارِدِ.

وَكَمَا أَنَّكَ لَوْ وُلِدْتَ كَلَامًا فِي الرَّهْدِ، وَمَوْعِظَةً لِلنَّاسِ، ثُمَّ قُلْتَ: هَذَا مِنْ كَلَامِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ  
 الْمُزْنِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَعَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسِ الْعَنْبَرِيِّ، وَمُورِقِ الْعِجْلِيِّ، وَيزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، لَتَضَاعَفَ حُسْنُهُ،  
 وَأُحْدِثَ لَهُ ذَلِكَ النَّسَبُ نَضَارَةً وَرِفْعَةً لَمْ تَكُنْ لَهُ. وَلَوْ قُلْتَ: قَالَهَا أَبُو كَعْبِ الصُّوفِيِّ، أَوْ عَبْدُ  
 الْمُؤْمِنِ، أَوْ أَبُو نُوَّاسِ الشَّاعِرِ<sup>(٥)</sup>، أَوْ حُسَيْنِ الْخَلِيعِ، لَمَا كَانَ لَهَا إِلَّا مَا لَهَا فِي نَفْسِهَا. وَبِالْحَرِيِّ أَنْ  
 تَغْلَطَ فِي مِقْدَارِهَا، فَتَبْخَسَ مِنْ حَقِّهَا.

(١) لَا أُعْرُكَ مِنْهُ: أَي لَا أَجْعَلُكَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ هَدْيٍ وَبَيَانٍ.

(٢) الْحَرْفُ: الطَّرْفُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الْأَنْبَاءِ مَنْ يَبْغِدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أَي طَرَفٍ وَجَانِبٍ.

(٣) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ مَزِيدَ الْمَدَنِيِّ كَانَ كَثِيرَ الدَّعَايَةِ وَالْفِكَاهَةِ، حَسَنَ الْبَادِرَةِ سَرِيعَ الْخَاطِرِ.

(٤) بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى مُزَيْنَةَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ، ثِقَةٌ جَلِيلٌ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٦ (تَهْذِيبُ التَهْذِيبِ).

(٥) الْحَسَنُ بْنُ هَانِئِ الْحَكَمِيِّ، أَبُو نُوَّاسٍ: شَاعِرُ الْعِرَاقِ فِي عَصْرِهِ. وَوُلِدَ فِي الْأَهْوَازِ وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادٍ فَاتَّصَلَ فِيهَا  
 بِالْخَلْفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَوَدَعَ بَعْضَهُمْ، وَخَرَجَ إِلَى دِمَشْقَ وَمِنْهَا إِلَى مِصْرَ، فَمَلَحَ أَمِيرَهَا الْخَصِيبَ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادٍ فَأَقَامَ إِلَى أَنْ  
 تَوَفَّى فِيهَا. الْأَعْلَامُ (٢/٢٢٥).

وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أزيابها، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أزيابها؛ إنا بالخوف منهم، وإنا بالإكرام لهم. ولولا أنك سألتني هذا الكتاب لما تكلفته، ولما وضعت كلامي موضع الضيم والثقمة. فإن كانت لائمة أو عجز عليك، وإن كان عذري فلي دونك.

رسالة سهل بن هارون، أبي محمد بن زاهيون،

إلى بنى عمه من آل زاهيون<sup>(١)</sup>،

حين ذموا مذهبهم في البخل، وتبعوا كلامه في الكتب<sup>(٢)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله! قال الأحنف بن قيس<sup>(٣)</sup>: يا معشر بنى تميم، لا تشرعوا إلى الفتنة، فإن أشرع الناس إلى القتال، أقلهم حياء من الفرار. وقد كانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمعة فتأمل عيآبا، فإنه إنما يعيب<sup>(٤)</sup> بفضل ما فيه من العيب. وأول<sup>(٥)</sup> العيب أن تعيب ما ليس بعييب. وقبيح أن تنهى عن<sup>(٦)</sup> مؤشيد، أو تُغري بمشفيق.

وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم، وإلا<sup>(٧)</sup> إصلاح فسادكم<sup>(٨)</sup>، وإبقاء النعمة عليكم. ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حُسن النية فيما بيننا وبينكم.

ثم قد<sup>(٩)</sup> تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما قد اخترناه<sup>(١٠)</sup> لأنفسنا قبلكم، وشهرونا به في الآفاق دونكم. فما كان أحقكم في تقديم حُرمتنا بكم، أن توعدوا حق قُصدنا بذلك إليكم، وتنبهنا على ما أغفلنا من واجب حَقِّكم! فلا العذر المبسوط بَلْعُثْم، ولا بواجب الحُرمة قُثْم. ولو كان ذكر العيوب بؤا وفضلا، لرأينا أن في أنفسنا عن ذلك شغلا<sup>(١١)</sup>. وإن من أعظم الشقوة، وأبعد من السعادة، أن لا يزال يُذكر زلل المعلمين، ويُنتاسى سوء استماع المتعلمين، ويُستغظم غلط الغاذلين، ولا يُحفل بتعمد المغذولين.

### (رد على اتهام بعييب)

عبثوني بقولي لحاديي: أجيدي<sup>(١٢)</sup> عجنه خميرا، كما أجدته فطيرا، ليكون أطيب لطيبي،

(١) في العقد بدون «أبي محمد بن زاهيون إلى بنى عمه من آل زاهيون».

(٢) في العقد بدون «حين ذموا مذهبهم في البخل، وتبعوا كلامه في الكتب».

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرعي السعدي المقرئ التيمي. أبو بحر سيد تميم، وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجمان الفاتحين. ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ونم يره. راجع ترجمته بالتفصيل في الأعلام (٢٧٦/١، ٢٧٧).

(٤) بعدها في العقد «الناس». (٥) في العقد «وإن أعيب». (٦) في العقد بدون «عن».

(٧) في العقد بدون «إلا». (٨) في العقد «فاسدكم». (٩) في العقد «وقد».

(١٠) بعده في العقد «لكم ولأنفسنا».

(١١) انظر العقد الفريد (١٥٦/٦).

(١٢) في العقد «أجيدي المعجين فهو أطيب لطعمه وأزيد في ريعه».

وَأَزِيدَ فِي رِيعِهِ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَجَمَهُ - لِأَهْلِيهِ : أُمْلِكُوا الْعَجِينَ ، فَإِنَّهُ أَرْيَعُ الطُّحْتَيْنِ .

وَعِشْتُمْ عَلَيَّ قَوْلِي : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَوَاقِعَ السَّرْفِ فِي الْمَوْجُودِ الرَّخِيسِ ، لَمْ يَعْرِفْ مَوَاقِعَ الْاِقْتِصَادِ فِي الْمُمْتَنِعِ الْعَالِي : فَلَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ مَاءِ الْوُضُوءِ<sup>(٢)</sup> بِكَيْلَةٍ يَدُلُّ حَجْمُهَا عَلَيَّ مَبْلَغَ الْكِفَايَةِ ، وَأَشْفَ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْكِفَايَةِ . فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى تَفْرِيقِ أَجْزَائِهِ عَلَيَّ الْأَعْضَاءِ ، وَإِلَى التَّوْفِيرِ عَلَيْهَا مِنْ وَظِيفَةِ<sup>(٤)</sup> الْمَاءِ ، وَجَدْتُ فِي الْأَعْضَاءِ فَضْلاً عَلَيَّ الْمَاءِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَوْ كُنْتُ مَكْنُتٌ<sup>(٥)</sup> الْاِقْتِصَادَ فِي أَوَائِلِهِ<sup>(٦)</sup> ، وَرَغِبْتُ عَنِ التَّهَاوُنِ بِهِ فِي ابْتِدَائِهِ ، لَخَرَجَ أَحْرُهُ عَلَيَّ كِفَايَةً أَوْلَهُ ، وَلَكَانَ نَصِيبَ الْعَضْوِ الْأَوَّلِ كَنَصِيبِ الْآخِرِ . فَعِشْتُمُونِي بِذَلِكَ ، وَسَنَعْتُمُوهُ<sup>(٧)</sup> بِجُهْدِكُمْ ، وَقَبَّحْتُمُوهُ . وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ عِنْدَ ذِكْرِ السَّرْفِ : إِنَّهُ لَيَكُونُ فِي<sup>(٨)</sup> الْمَاعُونَيْنِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ . فَلَمْ يَوْضَ بِذِكْرِ الْمَاءِ حَتَّى أُرْدِفَهُ بِالْكَلَالِ .

وَعِشْتُمُونِي جِئِينَ حَتْمْتُ<sup>(٩)</sup> عَلَيَّ سَدًّا<sup>(١٠)</sup> عَظِيمًا ، وَفِيهِ شَيْءٌ تَمِينٌ مِنْ فَاكِهَةِ نَفْسِي<sup>(١١)</sup> ، وَمِنْ رُطْبَةِ<sup>(١٢)</sup> غَرِيْبَةٍ ، عَلَيَّ عَنَيْدِ نَهْمٍ ، وَصَبِيٍّ جَشِيعٍ ، وَأَمَةِ لَكَعَاءٍ ، وَرُؤُوحَةِ خِرْقَاءَ<sup>(١٣)</sup> . وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِي الْأَدَبِ ، وَلَا فِي تَرْتِيبِ الْحُكْمِ ، وَلَا فِي عَادَاتِ الْفَاعِلَةِ<sup>(١٤)</sup> ، وَلَا فِي تَذْيِيرِ السَّادَةِ ، أَنْ يَسْتَوِيَ فِي نَفْسِ الْمَأْكُولِ ، وَغَرِيبِ الْمَشْرُوبِ ، وَتَمِينِ الْمَلْبُوسِ ، وَخَطِيرِ الْمَرْكُوبِ ، وَالتَّاعِمِ مِنْ كُلِّ فَنٍ ، وَاللُّبَابِ مِنْ كُلِّ شَكْلِ ، التَّابِعِ وَالمَتَّبِعِ ، وَالتَّيِّدِ وَالمَسْوُودِ . كَمَا لَا تَسْتَوِي مَوَاضِعُهُمْ فِي الْمَجْلِسِ ، وَمَوَاقِعَ أَسْمَائِهِمْ فِي الْعُنُوَانَاتِ ، وَمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِنَ التَّحِيَّاتِ . وَكَيْفَ وَهُمْ لَا يَفْقِدُونَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَفْقِدُ الْقَادِرُ ، وَلَا يَكْتَرُونَ لَهُ اكْتِرَاتُ الْعَارِفِ؟ مَنْ شَاءَ أَطْعَمَ كَلْبَهُ الدَّجَاجَ الْمَسْمُومَ ، وَأَغْلَفَ حِمَارَهُ السَّمْسِمَ الْمَقْشُرَ !

فَعِشْتُمُونِي بِالْحَتْمِ ، وَقَدْ حَتَمَ بَعْضُ الْأَيْمَةِ عَلَيَّ مِرْوَدَ سَوِيْقٍ . وَحَتَمَ عَلَيَّ كَيْسَ فَارِيغٍ ، وَقَالَ : طِبْنَةُ حَيْرٍ مِنْ طِبْنَةٍ . فَأَمْسَكْتُمْ عَمَّنْ حَتَمَ عَلَيَّ لَا شَيْءَ ، وَعِشْتُمْ مَنْ حَتَمَ عَلَيَّ شَيْءًا .

وَعِشْتُمُونِي حِينَ قَلْتُ لِلْغُلَامِ : إِذَا زِدْتِ فِي الْمَرْقِ فَرِزْدَ فِي الْإِنضَاجِ ، لِتَجْمَعَ بَيْنَ التَّأْدِمِ بِاللَّحْمِ وَالمَرْقِ ، وَلِتَجْمَعَ مَعَ الْارْتِفَاقِ بِالمَرْقِ الطَّيِّبِ<sup>(١٥)</sup> . وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا طَبَخْتُمْ لَحْمًا فَرِزِدُوا فِي الْمَاءِ ، فَإِنْ لَمْ يُصَبَّ أَحَدُكُمْ لَحْمًا أَصَابَ مَرَقًا »<sup>(١٦)</sup> .

وَعِشْتُمُونِي بِخَصْفِ النَّعَالِ ، وَبِتَصْدِيرِ الْقَمِيصِ ، وَحِينَ زَعَمْتُ أَنَّ الْمُخْصُوفَةَ أَبْقَى وَأَوْطَأَ وَأَوْقَى ،

(١) الفظير : العجين الذي لم يختمر ، في ريعه : في ريادة ونمائه وسخائه .  
 (٢) بعده في العقد بدون «بكيلة يدل حجمها» . . . . .  
 (٣) في العقد «واشد» ومعنى أشف : أزيد .  
 (٤) في العقد «وضيعة» . (٥) في العقد «سلكت» .  
 (٦) في العقد بدون «وغيبت عن التهاون به في ابتدائه» .  
 (٧) في العقد بدون «بجهدكم ، وقبحتموه» .  
 (٨) في العقد بدون «الماعونين» .  
 (٩) في العقد «جثمت» . (١٠) في العقد «شيء» .  
 (١١) في العقد بدون «نفسية» .  
 (١٢) في العقد «رطبة نفية ومن ربة غريبة» .  
 (١٣) في العقد «مضيعة» .  
 (١٤) في العقد «ولافي عدالة العادة» .  
 (١٥) انظر العقد الفريد (١٥٦/٦) .  
 (١٦) ضعيف . أخرجه الترمذي في الأطعمة ، باب ما جاء في إكثار ماء المرأة (١٨٣٢) ، والحاكم في المستدرک (١٣٠/٤) .

وَأَنْقَى لِلْكَبِيرِ، وَأَشْبَهُ بِالثُّلُوكِ، وَأَنَّ التَّرْقِيعَ مِنَ الْحَزْمِ، وَأَنَّ الْجَمْعَ مَعَ الْجَفِظِ، وَأَنَّ التَّفْرِيقَ<sup>(١)</sup> مَعَ التَّضْيِيعِ. وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُتْرَقِعُ ثَوْبَهُ<sup>(٢)</sup>. وَلَقَدْ لَقَمْتُ شُعْدَى بِنْتُ عَوْفٍ إِزَارَ طَلْحَةَ، وَهُوَ جَوَادٌ قُرَيْشِي، وَهُوَ طَلْحَةُ الْفَيَاضُ. وَكَانَ فِي ثَوْبِ عُمَرَ رِقَاعُ آدَمَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ مِنَ الْجِلَالِ حَمَّتْ مُؤْتَهُ، وَقُلَّ كِبَرُهُ. وَقَالُوا: لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا يَلْبَسُ الْحَلْقَ.

وَبَعَثَ زِيَادٌ رَجُلًا يَزْنَاهُ لَهُ مُحَدَّثًا، وَاسْتَرْطَ عَلَى الرَّائِدِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا مُسَدَّدًا. فَأَنَاهُ بِهِ مُوَافِقًا. فَقَالَ: أَكُنْتُ ذَا مَعْرِفَةٍ بِهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا رَأْيَهُ قَبْلَ سَاعَتِهِ. قَالَ: أَفَنَاقَلْتَهُ الْكَلَامَ، وَفَاتَخْتَهُ الْأُمُورَ قَبْلَ أَنْ تُوصَلَهُ إِلَيَّ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَلِمَ اخْتَرْتَهُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: يَوْمَنَا يَوْمٌ قَانِظٌ<sup>(٣)</sup>، وَلَمْ أَزَلْ أَتَعَرَّفُ عُقُولَ النَّاسِ بَطْعَائِهِمْ وَبِلِبَاسِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ. وَرَأَيْتُ ثِيَابَ النَّاسِ مُجَدَّدًا، وَثِيَابَهُ لُبْسًا، فَظَنَنْتُ بِهِ الْحَزْمَ.

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْحَلْقَ فِي مَوْضِعِهِ، بِمِثْلِ الْجَدِيدِ (فِي مَوْضِعِهِ). وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، وَبَوًّا لَهُ مَوْضِعًا؛ كَمَا جَعَلَ لِكُلِّ ذَهْرٍ رَجَالًا، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا. وَقَدْ أُخِيَا بِالشَّمِّ، وَأَمَاتَ بِالغِذَاءِ، وَأَغْصَ بِالْمَاءِ، وَقَتَلَ بِالدَّوَاءِ. فَتَرْقِيعُ الثَّوْبِ يَجْمَعُ مَعَ الْإِضْلَاحِ التَّوَاضِعَ. وَخِلَافُ ذَلِكَ يَجْمَعُ مَعَ الْإِسْرَافِ التَّكْبِيرَ. وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْإِضْلَاحَ أَحَدُ الْكَشْبَيْنِ، كَمَا زَعَمُوا أَنَّ قَلَّةَ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَتَيْنِ<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ جَبَرَ الْأَخْنَفُ يَدَ عَنَزٍ. وَأَمَرَ بِذَلِكَ التُّغْمَانَ. وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ أَكَلَ بَيْضَةَ فَقَدْ أَكَلَ دَجَاجَةً. وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ السَّادَةِ: أَهْدَى إِلَيْكَ دَجَاجَةٌ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاجْعَلْهَا بِيَاضَةً<sup>(٥)</sup>. وَعَدَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ الْعُرَاقَ<sup>(٦)</sup> حُرَّ الْبَهِيمَةِ.

وَعِشْمُونِي حِينَ قُلْتُ: لَا يَغْتَرُونَ أَحَدٌ بِطُولِ عُمرِهِ، وَتَقْوُسِ ظَهْرِهِ، وَرِقَّةِ عَظْمِيهِ، وَوَهْنِ قُوَّتِهِ، أَنْ يُرَى أَكْزَوْمَتَهُ، وَلَا يُخْرِجَهُ<sup>(٧)</sup> ذَلِكَ إِلَى إِخْرَاجِ مَالِهِ مِنْ يَدَيْهِ<sup>(٨)</sup>، وَتَحْوِيلِهِ إِلَى مِلْكٍ غَيْرِهِ، وَإِلَى تَحْكِيمِ السَّرْفِ فِيهِ، وَتَشْلِيطِ الشَّهَوَاتِ عَلَيْهِ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مُعْتَمِرًا وَهُوَ لَا يَدْرِي، وَمُتَحَدِّدًا لَهُ فِي السَّنِّ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. وَلَعَلَّهُ أَنْ يُوزَّقَ الْوَلَدَ عَلَى الْيَاسِ، أَوْ يَخْدُتَ عَلَيْهِ بَعْضُ مُحَبَّاتِ الدَّهْرِ<sup>(٩)</sup>، مِمَّا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ، فَيَسْتَرْدُهُ مِمَّنْ لَا يَرُدُّهُ، وَيُظْهِرُ الشُّكُورَى إِلَى مَنْ لَا يَزِيحُهُ، أَضْعَفَ<sup>(١٠)</sup> مَا كَانَ عَنِ الطَّلَبِ، وَأَقْبَحَ مَا يَكُونُ بِهِ الْكَسْبُ<sup>(١١)</sup>. فَعَيْتُمُونِي بِذَلِكَ. وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ: اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ عَمَلٌ مِّنْ يَعْيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ عَمَلٌ مِّنْ يَمُوتُ عَدًّا<sup>(١٢)</sup>.

(١) فِي الْعَقْدِ «التَّفْرِيطُ».

(٢) صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (١٠٦/٦)، ١٢١، ١٦٧، ٢٤٤، ٢٦٠، وَالتَّبْرِيزِيُّ فِي مَشَاةِ الْمَصَابِيحِ (٥٨٢٢).

(٣) قَانِظٌ: شَدِيدُ الْحَرِّ. (٤) الْيَسَارُ وَالْيَسَارَةُ: الْغِنَى. (٥) انظُرِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ (١٥٧/٦).

(٦) الْعُرَاقُ: الْعَظْمُ إِذَا أَخَذَ عَنْهُ أَكْثَرُ اللَّحْمِ. (٧) فِي الْعَقْدِ «فَيْدَعُو».

(٨) فِي الْعَقْدِ «بَيْدِهِ».

(٩) فِي الْعَقْدِ «أَقَاتِ الدَّهْرَ». (١٠) فِي الْعَقْدِ «أَصْعَبُ». (١١) فِي الْعَقْدِ «أَنْ يَطْلُبُ».

(١٢) انظُرِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ (١٥٧/٦).